النّشاط الزراعي بالمقاطعات الإفريقية خلال العصر الإمبراطوري الثاني
"من خلال فسيفساء ساحة الاتّحادات المهنية والحرفية بأوستي (OSTIE)"
قراءة في مقال "موانئ شرق موريطانيا القيصرية" للأستاذ الدكتور بشاري محمد الحبيب

د./ محفوظ خالد
أستاذ التاريخ القديم، جامعة سطيف-2.
khaledmahfoud06@yahoo.fr

الملخص:

خلال بحث لي عن موضوع واقع النشاط الزراعي في المقاطعات الإفريقية خلال العصر الإمبراطوري الثاني، تصادفت مع مقال للمرحوم محمد الحبيب بشاري الموسوم "موانئ شرق موريطانيا القيصرية"، المنشور في كتاب أعمال الملتقي الدولي تحت عنوان" الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا 2009)، حيث فتح لي دربا مهما في بحثي من خلال اعتماد إحدى العناصر الواردة في المقال والمتمثّل في فسيفساء ساحة الاتحادات المهنية والحرفية المتواجدة بالمدينة المرفأ أوستي (OSTIE).

تعتبر فسيفساء ساحة الاتّحادات المهنية والحرفية المتواجدة بالمدينة المرفأ أوستي (OSTIE) مصدرا أثريا مهما ودليلا قاطعا على الدور المهم الذي لعبته المقاطعات الإفريقية في تموين الإمبراطورية في وقت أزمة خانقة، إذ فرض الأفارقة أنفسهم في السوق العالمية لمدة قرنين من الزمن، الواقع الذي أحدث تحولات سياسية واجتماعية مهمة بالمقاطعات الإفريقية.

الكلمات المفتاحية: النشاط الزراعي؛ المقاطعات الإفريقية؛ فسيفساء؛ أوستي؛ بشاري محمد الحبيب.

مقدمة:

ذكر القديس تورتيليانوس* في أحد مؤلفاته قائلا "...نلاحظ بيقين ازدياد نعم العالم كما كانت عليه، امتداد مساحات الزراعة يوما بعد يوم، لقد تيسر كل أمر واتضح كل شيء، خضع كل مكان لنشاط الإنسان، اتسعت الضياع الريفية حيث طيب العيش، فتقهقرت الصحاري وخطت المحارث الأراضي وروضت الغابات وطردت المواشي الوحوش البرية، امتدت البذور إلى الرمال وفتحت الصخور، جفّت المستنقعات، وفاق عدد المدن منازل الأمس، في كل مكان منزل، في كل مكان شعب، في كل مكان مدينة، في كل مكان حياة"[1] هذه الشهادة التي تعود إلى أوائل القرن الثالث تعطينا فكرة عن التطور والثراء الذي كانت عليه المقاطعات الإفريقية، وهي الفكرة التي ركز عليها الباحث **لاسير** لتفسير ظاهرة النمو الديموغرافي السريع الذي شهدته المقاطعات الإفريقية خلال القرنين الثالث والرابع الناتجة عن اكتفاء غذائي، عكس ما كان قائما خلال العهد الإمبراطوري الأول، أين عرفت هذه المقاطعات في بعض الأحيان أزمات غذائية،[2] الأمر الذي قاد المهتمين أمثال الباحث المرحوم بشاري للقول أن هذه التطورات وليدة تنظيم إداري واقتصادي محكم كان قائما،[3] والذي سيتواصل خلال فترة الأزمة وخصوصا في شقه الفلاحي، فباستثناء بعض الإشارات الهامشية فإن المصادر الأدبية لم تتطرق إلى واقع النشاط الزراعي في المقاطعات الإفريقية خلال القرن الثالث، ولتأكيد هذه الأخبار الأدبية تاريخيا والبحث في خلفياتها وانعكاساتها استوجب البحث في السند المادي الأثري، إذ قدمت لنا بعض النصوص القانونية والآثار معلومات وفيرة وقيِّمة حول بعض التنظيمات الاقتصادية وأهم المنتجات الزراعية التي كانت تُنتج ويتاجر بها، مثلما ورد في مشاهد الفسيفساء والرسوم الحائطية التي كانت تعج بها إقامات المستثمرين الفلاحيين من الأفارقة في المقاطعات الإفريقية،[4]

---

* اسمه الكامل Quintus Septimius Florens Tertullianus (160 م؟- 220م؟) كاتب ورجل دين إفريقي الأصول (مرومن) كان أحد أشد معارضي الدولة من خلال نقده للوثنية.

(1) Turtulianus , De Testamanio , 30 , 3 نقلا عن عمار المحجوبي:

(2) Lassère Jean-Marie, Vbique Populus, peuplement et Mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), éd. CNRS – 2011, p- 568.

(3) بشاري محمد الحبيب، "موانئ شرق موريطانيا القيصرية"، أعمال الملتقى الدولي تحت عنوان" الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما و حربا" يومي 07-08 ديسمبر 2009 بجامعة الجزائر، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني، ص. ص. 327-328.

(4) Morvillez Eric, « la mise en scène des choix culturel et statut social des élites dans leurs domus et vilae en occident (III, IV siècle) », dans « la crise de l'empire romain ; de marc Aurèle à Constantin », éd. P.U.P.S., paris-2006, pp – 606 – 607.

تعتبر فسيفساء ساحة الاتحادات الحرفية والمهنية بالمدينة المرفأ أوستي بروما أحد أهم الشواهد الأثرية على ازدهار اقتصادي عرفته المقاطعات الإفريقية خلال القرنين الثالث والرابع، حيث ضمت واحد وستين (61) مكتبا مرتبطا بمختلف الحرف والسلع التي كانت متداولة في هذا الميناء،[1] **(أنظر الملحقين 03+04)** وذهبت الدراسات الأثرية والتاريخية إلى القول أن الساحة شهدت عدت تحولات، حيث كانت في البداية معرض مصغر ارتبط بالمسرح ثم وسعه الإمبراطور هادريانوس (117م-138م)، لينته عليها الأمر كما هو حاليا إلى عهد سيبتيموس سيفيروس (193م-211م)، لتهمل وظيفة الساحة خلال نهاية القرن الرابع للميلاد،[2] إذ أشارت إلى علاقات وطيدة بين مُسيري هذه المدينة-الميناء مع بعض التجار الأفارقة ومكانتهم المرموقة، بل عُثر على منازل وإقامات مصغرة بأسماء هؤلاء،[3] يُضاف اليها بعض الإشارة التي عُثر عليها في بعض المواقع بالمقاطعات الشرقية تتحدث عن مفاوضات ومناقصات تجارية كان يقوم بها خواص أفارقة من أجل الفتك بصفقات، حيث كانت تقدم هدايا للطرف المشتري والمتمثل في الوكلاء،[4].

واقع النشاط التجاري الخارجي بالمقاطعات الإفريقية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد:

يُعتبر الانتشار الكبير والواسع للموانئ على طول الساحل الإفريقي دليل على نشاط بحري، حيث بيَّنت المصادر والدراسات الأثرية والتاريخية أن هذه الموانئ عرفت نشاطا كبيرا خلال القرنين الثالث والرابع، فبالنسبة للبروقنصلية نذكر موانئ: قرطاج الذي كان يستقبل زيوت وقمح المجردة والواد مليان، بنزرت، ميناء حضرموت (سوسة) الذي استقبل زيوت تيليبت وسبيطلة، بالإضافة إلى ميناء كوربيس **(Curubis)** سيدي داود حاليا، سيليكتوم **(Sellectum)** سلقطة حاليا، جومي **(Gummi)** مهدية حاليا، مينائي صبراطة ولبتيس ماغنا بالساحل الطرابلسي، حيث استقبلا السلع القادمة من جنوب الصحراء و المتمثلة أساسا في الذهب والعبيد والعاج، في حين ميناء هيبون كان يستقبل قمح قالما وزيوت مادور (مداوروش) وتيفست (تبسة) أما في مقاطعة نوميديا فخصت كل من روسيكادا (سكيكدة) وشولو (القل) اللذان كانا يستقبلان قموح سرتا وزيوت لمبيز وتيمقاد،[5] أما بالنسبة لمقاطعة موريطانيا القيصرية تحدثت المصادر عن ميناء **(Musluvium)** سيدي ريحان بأوقاس حاليا شرق

(1) بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص. 338.

(2) Cébeillac-Gervasoni, Mireille, Epigraphie Latine, Armand Colin Paris - 1986, p-290.

(3) Mahdjoubi Ammar, « le régime des notables dans la cité Antique », www.leaders.com.Tn/ Article 26936, Mis en ligne le 20/04/2019, 4/5. Et Briand Ponsart Claude, L'Afrique Romaine de l'Atlantique a la Tripolitaine 146 – 533, éd. Armand Colin, Paris , 2006, p – 232.

(4) Carrier Jean Michel et Rousselle Adline, L'empire en Mutation de sévères à Constantin 192 – 337, éd . seuil – 1999. p – 584.

(5) عقون محمد العربي، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر-2003، ص- 119.

بجاية، حيث ذُكر على أنه كان محطة لسفن تجارية مستأجرة من طرف الدولة لنقل مواد زراعية وأخرى متميزة،[1] يُضاف اليها ايجيليجلي الذي تخصص في تصدير الزيت،[2] وموانئ صلداي (بجاية)، (**Rusguinae**) برج البحري حاليا ، تيبازة ، قيصرية ، تنس ، بطيوة (**P.Magnus**)، وميناء سيڤا الذي كان النقطة الأساسية في تجارة موريطانيا القيصرية في شقها الغربي، إذ بينت أثار شبكة الطرقات ومساراتها بأن الميناء كان يستقبل السلع بمختلف أنواعها التي كانت تصل من الداخل وخصوصا الاقليم الذى عُرف بسهول التافنة ومن أقصى جنوب موريطانيا القيصرية.[3]

هذا التّعدد والانتشار الواسع لهذه الموانئ ارتبط بشبكة الطرقات التي كانت تربطها بمناطق الإنتاج؛ إذ كانت محل اهتمام السلطة الرومانية من خلال مشاريع الصيانة خلال فترة الأزمة، كل هذه العوامل ساعدت في النشاط التجاري حيث تنوع حسب تنوع الصناعات، يُضاف إليها إشارات وحديث عن مخازن كبيرة في بعض المدن الإفريقية والتي كانت ملكا لخواص، حيث اُستغلت في تخزين مواد "الأنونة" ومواد أخري خاصة للتسويق العادي،[4] يُضاف اليها اشارات لامتلاك بعض هؤلاء التجار الكبار لسفن خاصة لنقل بضائعهم المتميزة، كما كانوا يستأجرونها للسلطة،[5] وما اقدام الإمبراطور ديوقليسيانوس عام 301م على تنظيم هذا النشاط البحري بمرسوم امبراطوري لدليل على تطوره،[6] أما عن تفسير ظاهرة بروز تجار المقاطعات الإفريقية عموما والبروقنصلية خصوصا، فيمكن رده إلى عدة اعتبارات، تتقدمها حادثة واقعة عقاب الإمبراطور **سبتموس سيويروس** رجال أعمال المقاطعة الاسبانية من خلال فرض ضرائب على تجارتهم بالإضافة إلى مطالبتهم بخدمات مجانية، كما فضَّل المنتجات الإفريقية والتعامل مع رجال أعمال من المقاطعات الإفريقية،[7] ولنا في هذا المقام مثال عائلات مارتشيي (**Marcii**) وأرادي (**Aradii**) وكذا ايديباليوس (**Iddibalius**) أو أرسكال (**Arsacal**)، وكاييليا (**Caelia**)،[8] هذه الإجراءات كانت بخلفيات سياسية واقتصادية وذلك كنتيجة لانعكاسات الوساطة التجارية التي احتكرها الأجانب عن المقاطعات الإفريقية، والتي أثّرت على

---

(1) Hugoniot Christophe, Rome en Afrique ; de la chute de Carthage aux débuts de la conquéte arabe, édition Flamarion, paris – 2000, p- 117. Et Le Bohec Yann, Histoire De L'Afrique Romaine 146 avant J-C – 439 après J-C, 2eme Edition, édition A et J. Picard, Paris-2013, p- 228.

(2) بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص – 334.

(3) Camps-Fabrer Henriette, L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, imprimerie officielle, Alger-1953, p – 76. Et Yahiaoui Nora, Les confins occidentaux de la Mauritanie césarienne sujet de doctorat sous la direction de François queyrel et de Jehan desanges , février – EPHE , 2003, p- p- 126- 141.

(4) Camps (H.F.), op.cit. p – 71.

(5)- وعقون (م.ا.)، الاقتصاد والمجتمع، ص. 141؛ بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص.338.

(6) Le Bohec (Y.), Histoire De L'Afrique Romaine…, op.cit., p- 228.

(7) Briand (C.P.) L'Afrique Romaine…, op.cit. p – 231 Et Mahdjoubi (A.), le Régime des notables …, op.cit, 3/5

(8) Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique…, op.cit., p- 270 et Lassère (J.M.), Onomastica africana XVII/XVIII: gentilices romains d'origine Africaine, p- 187.

الاقتصاد المركزي للدولة،** إذ أصبحت المواد والمنتجات الإفريقية تصل إلى روما باهظة الثمن،[1] وهو الطرح الذي ركزت عليه بعض الدراسات الغربية لتفسير تفوق التجارة الإفريقية في الحوض المتوسط خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع، حيث أبعدوا عامل الجودة في هذا التفوق الإفريقي، في حين يقول الباحث **هيجينيو كريستوف** أن اجتهاد الأفارقة وحرصهم على احترام الواجبات، جعل الأباطرة يحبذون الأفارقة في المعاملات الاقتصادية عوض المستوطنين، حتى أن الأباطرة تدخلوا في الكثير من الحالات لإنصاف الأثرياء الجدد من الأفارقة المظلومين وبقوة القانون خلال خلافاتهم مع الأثرياء القدامى.[2]

جزء معتبر من المنتجات الزراعية الإفريقية كانت موجهة إلى موانئ الضفة الشمالية والشرقية للحوض المتوسط، في وقت ارتفعت فيه احتياجات الحرب في الجبهات الجرمانية والشرقية، بقيت إفريقيا الممون الرئيسي للإمبراطورية،[3] وظهر ذلك من خلال أثار وبقايا الجرار والأمفورات المتنوعة لنقل الحبوب والزيوت ومنتجات أخري، والتي حملت علامات ورشات إفريقية،[4] **(أنظر الملحقين 07 و08)** هذه الجرار والأمفورات كانت تنقل حبوب إقليم المزاق وجنوب نوميديا و زيوت طرابلس وخمور وأسماك موريطانيا القيصرية إلى الموانئ الغربية مثل أوستي وبعض موانئ سردينيا [5]بالإضافة إلى وجهات أخرى مثل جنوب بريطانيا وبعض موانئ الشرق كالإسكندرية، [6] كما وُجدت جرار زيت إفريقي بجزيرة كريت والتي أُرخت بالقرن الثالث،[7] يُضاف إليها بقايا حطام السفن التي عُثر عليها في بعض السواحل الشمالية للمتوسط، خصوصا السواحل الشرقية لجنوب فرنسا، حيث أمدتنا بمعلومات قيمة عن طبيعة المنتوجات الإفريقية التي كانت تصل إلى أوروبا خلال فترة الأزمة وما بعدها، والتي اتخذت عدة أشكال، حيث صبت كلها إلى تأكيد واقع نشاط المقاطعات الإفريقية اقتصاديا خلال فترة الأزمة.[8]

** أشارت بعض المصادر إلى تورط الكثير من جُباة الضرائب وخصوصا مسؤولي الأنونة وحكام المقاطعات في استنزاف ثروات المقاطعات. للمزيد راجع: عمران نورة، رجال المال والأعمال الأجانب في المقاطعات الإفريقية 146ق.م-285م، مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ جامعة بوزريعة، الجزائر2، 2010، ص.ص. 106-107 وكذا ص. 114.

(1) Camps (H.F.), op.cit., pp – 73 – 74. Et عمران (ن.)، رجال المال و الأعمال...، المرجع السابق، ص. 116.

(2) Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique…, op.cit., pp- 105-106.

(3) Lepelley Claude, Rome et l'intégration de l'empire 44 Av. jc – 260 Ap.jc, tome II, éd. Puf., 1998, p – 103.

(4) Carrier (J.M.), op.cit., p – 527.

(5) Ibid.

(6) Carrier (J.M.), op.cit., p – 527.

(7) Carrier (J.M.), op.cit., p – 527.

(8) Bonifay Michel , Etude sur la céramique Romaine Tardive d'Afrique , éd. Bar international séries England , 2004, p – 480.

المؤشرات الأثرية وبعض المراسيم القانونية ذات الخلفيات الاقتصادية،[1] دفعت بالكثير من المهتمين والمختصين المحدثين، للقول والتأكيد على فكرة أنه خلال فترة الأزمة أصيبت أغلب المقاطعات بالشلل الاقتصادي وخصوصا النشاط الزراعي،[2] باستثناء نشاط إغريقي محتشم، إذ عُثر على جرار وأمفورات إغريقية بمواقع مختلفة ببلاد غالة،[3] ولقد بقي الوضع كذلك إلى غاية النصف الثاني من القرن الرابع لتعود هذه المقاطعات الشرقية والغربية للنشاط من جديد،[4] وخلال هذه الفترة من الركود والشُح، بقيت المقاطعات الإفريقية الممول الرئيسي لإيطاليا وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية لاحقا إلى شرقية وغربية ، تكفلت مصر بتموين الجهة الشرقية وبقيت المقاطعات الإفريقية الأخرى تمون الإمبراطورية الغربية،[5] في هذا السياق يقول **بول ألبير فيفري** أن وفرة المقاطعات الإفريقية على الشواهد الأثرية ذات الطابع الاقتصادي التي تعود إلى القرن الثالث، دليل على ثراء المقاطعات الإفريقية،[6] في حين خلص **فيليب لوفو** في إحدى دراساته لمئتان وواحد وأربعين (241) موقع أثري ضمن ضيعات بضواحي القيصرية، يعود تأسيسها للقرن الأول للميلاد لكنها عرفت أوج تطورها خلال القرن الثالث حتى نهاية القرن الرابع،[7] نفس الفكرة طرحها الباحث **كوتولا (KOTULA)** بالقول "رغم الأزمة التي عصفت بالإمبراطورية خلال القرن الثالث، فباستثناء موريطانيا القيصرية لدواعي أمنية، فإن المقاطعات الإفريقية بقيت مزدهرة حيث كانت تغذي نفسها و حُصِل فائض إنتاجي خلال بداية القرن الرابع"[8] وهو الواقع الذي ظهر جليا في تنظيم قانون الضريبة العينية، حيث لم تقتصر وجهتها إلى روما فقط بل خصّت الكثير من المناطق في شقّي الحوض المتوسط.[9]

(1) Ibid.

(2)اللافى سالم ناصر، إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقليديانوس) وأثرها السلبية و الايجابية على الإمبراطورية الرومانية 284–305 م، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب– ترهونة، ليبيا– 2008، ص. 10.

(3) Bonifay (M.), op.cit. p – 446.

(4) Ibid .

(5) Slim Hédi et Mahdjoubi Amar, Khaled Belkhoudja , Histoire générale de la Tunisie, T.1 , l'Antiquité , sud – édition Tunis , Paris – 2003, p – 313.

(6) Fevrier (Paul Albert), Image et société (III – IV siècle) dans crise et redressement de l'empire, IHR, Acte du colloque de Strasbourg, décembre – 1981, édition Edmond Frézouls – 1983, pp – 34 – 35 .

(7) Leveau (P.), une ville et ses compagnes, l'exemple de caesarea de Mauritanie, actes du colloque `` villes et compagnes dans l'empire romain `` organisé à Aix – en – Provence les 16 – 17 mai 1980 – éd. YE.R.H – 1982, p- 85.

(8) Kotula Tadeusz, « Snobisme municipal ou prospérité relative ? Recherche sur le statut des villes nord-Africaines sous le bas-empire Romain », An.Af., T.8, 1974, p – 117.

(9) Bonifay (M.), op.cit., p – 454.

– الانتشار الواسع للفخار الإفريقي كدليل على التطور الزراعي الإفريقي خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد:

يقول بول ألبير فيفري أن تجارة الفخار الإفريقي كانت نشيطة جدا خلال القرنين الثالث والرابع،[1] الفكرة التي قلَّلَ من شأنها بعض الباحثين حين شككوا في فكرة انفراد المقاطعات الإفريقية بالسلامة من الأزمة الاقتصادية ، حيث ذهبوا للقول أن السلع الإفريقية نافستها تجارة غالية وإيبيرية، ودعموا طرحهم الذي تنقصه الأدلة الأثرية بالقول أن النبيذ الغالي كان يعبأ في براميل من خشب عوض الأمفورات الفخارية، وعليه كانت هذه البراميل عرضة للتلف والاندثار بسبب العوامل الطبيعية، في حين كانت الزيوت الإسبانية تنقل في جرار دون علامات خاصة،[2] وفرضا صحَّ هذا الطرح، فإننا نعرض مجموعة من ملاحظات على شكل افتراضات كما يلي:

اعتماد الأفارقة الأمفورات دليل على خبرة علمية مرتبطة بالصحة الغذائية بالإضافة إلى تطور صناعي للفخار، كما أن اعتماد العلامة التجارية على المنتجات الإفريقية دليل خصوصية شهرة المنتوج، بل سجلت حالات أين طُبع على الوعاء الفخاري اسم البائع و المشتري،[3] الواقع الذي يدفعنا لافتراض أن هذه السلع الغالية والايبيرية التي تحدثت عنها هذه المراجع قد تكون سلع افريقية أعيد تعبئتها ثم تسويقها إلى مناطق أخرى نحو الشمال والمشرق، وخصوصا أننا نملك معلومات عن مبادلات غالية وإيبيبيرية مع المقاطعات الافريقية، هذا الطرح قد يتدعم بواقع اكتشاف بقايا بعض الأمفورات والجرار الموريطانية بمدينة مالاقا **(Malaga)** وبعد الدراسة رجح الباحثون فكرة أن المدينة كانت حلقة وصل بين بعض المنتجات الموريطانية القادمة من المدينة الميناء سيقا **(Siga)** لتنقل لاحقا إلى إيطاليا.[4]

بالعودة إلى مراكز إنتاج هذه السلع و وجهاتها فإن المصادر بنوعيها، الأدبية والأثرية تحدثت عن مراكز معينة، فمثلا في البروقنصلية نجد حضرموت، لبدة الصغرى، سوليكتوم (سلقطة)، هذه المراكز كانت نقاط إنتاج شحن في نفس الوقت، أما عن اتجاهاتها ومسارتها (السلع)، فرغم تركيز المصادر الكلاسيكية على مسارات معينة شائعة حيث كانت ثابتة، وذلك راجع الى ظروف طبيعية مرتبطة بأحوال الملاحة وأخري اقتصادية ارتبطت بأسعار النقل، فإن المعاملات التجارية الإفريقية لم تقتصر على إيطاليا بل كانت هناك وجهات متعددة، فصقيلية وجزيرة كريت ثم سوريا أين وُجدت أسماء لتجار أفارقة،[5] وصولا الى إقليم دالماكيا من طريق بحر الأدرياتيك، كما عرفت السوق

(1) Février (P.A.), Image et société…, op.cit., p – 35.
(2) Carrier (J.M.), op.cit., p – 545 – 546.
(3) Le Bohec (Y.), Histoire De L'Afrique Romaine…, op.cit., p- 148.
(4) Yahiaoui (N.), Les Confins…, op. cit., p – 141.
(5) Briand (C.P.), L'Afrique Romaine…, op.cit., p – 232.

المصرية إقبالا كبيرا على سلع البروقنصلية وموريطانيا القيصرية حيث ظهر ذلك بقوة نهاية القرن الرابع،[1] إذ عُثر على جرار في غالبها للزيت وقليلها للنبيذ تحمل علامات لورشات طرابلسية والبروقنصلية،[2] كما عُثر على أمفورات للنبيذ الأفريقي كتب عليها صنع بطرابلس في كل من لبنان الحالي وبعض الموانئ الإغريقية بالإضافة إلى بعض المواقع في الدانوب،[3] بل وجدت أثار بقايا السلع الإفريقية في مواقع كانت أمنة وبعيدة عن أقاليم الحروب، حتى في وسط العاصمة روما، حيث وُجدت بقايا جرار وأمفورات قدمت من موريطانيا القيصرية،[4] و الملاحظ في هذه الأوعية الفخارية التي كانت موجهة للخارج هو التركيز الكبير في طريقة تعبئتها المحكم الذي يوحي الى وجهتها البعيدة،[5] ولنا أيضا أمثلة في بقايا حطام العديد من السفن محملة بسلع انطلقت من المقاطعات الإفريقية إلى خارجها حيث وُجدت في مواقع عديدة على سواحل بلاد غالة وكورسيكا،[6]كحطام بأحد الشواطئ الشرقية لكورسيكا حملت فخار إفريقي، لكن تبين بعد الدراسة المتأنية للحطام التي أجريت عليها من طرف المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي **(cnrs)** أنها حملت قناديل زيتية قدمت من إفريقية وأعيد شحنها في روما (أوستي) باتجاه بلاد غالة من خلال إقليم الناربون،[7] ضاف إلي هذه المواد بعض التي لم تكن بكميات كبيرة مثل التين والزيتون المجفف والتمر، حيث عرفت صناعتهما تطورا ملحوظا خلال القرنين الرابع والخامس،[8] بالإضافة الى بعض الحيوانات المتوحشة وأخري ذات منفعة استهلاكية، إذ وُجدت حيوانات إفريقية في المقاطعات الشمالية الغربية وكذا في بعض المقاطعات الشرقية.[9]

1- واقع النشاط الزراعي بالبروقنصلية وموريطانيا القيصرية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد:

أ- زراعة الحبوب:

معلوماتنا عن الزراعة الحقلية خلال فترة الأزمة قليلة وخصوصا في المصادر الأدبية الكلاسيكية، لكن الإشارات الأثرية بيَّنت الاهتمام الكبير من طرف الأفارقة بهذا النشاط الزراعي، حيث الانتشار الكبير والواسع للمطمورات والمخازن **(Horrea)** في أغلب مدن المقاطعات الإفريقية وخصوصا نوميديا وموريطانيا القيصرية في شقها الشرقي،[10] وبالعودة إلى قضية الانتشار الكبير

(1) Le Bohec (Y.), Histoire De L'Afrique Romaine…, op.cit., p- 153 et p- 229. Et Bonifay (M.), op.cit. pp – 457 - 458.

(2) Bonifay (M.), op.cit., p – 454.

(3) Drine Ali et Jerray Elyssa, « Exploitation et commercialisation des sauces maritimes de la petite syrte : témoignage Archéologiques et spécificités régionales », in Fish & ships. Ed. Errance paris- 2014, p- 110.

(4) بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص. 338.

(5) Drine Ali et Jerray Elyssa, Exploitation et commercialisation…, op.cit, p- 110.

(6) Bonifay (M.), op.cit., p – 453.

(7) Narbonne, la seconde Rome, (éd. Snrs) Diffusé le 14/01/2022 à 19.00h sur Histoire t.v.

(8)Amraoui Touatia , « La production urbaine de salaisons en Algérie à l'époque romaine : l'exemple de Tipasa –Maurétanie Césarienne », dans le Fishe Ships , production et commerce des salsamenta durant l'antiquité, éd errance , 2014, p- 97.

(9) Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique, op.cit.,p- 254.

(10) Hugoniot Christophe, Rome en Afrique…, op.cit., p- 290 Et Camps (F.H.), L'olivier …, p – 70.

والواسع للمخازن في المقاطعات الإفريقية، التي اختلفت من مخازن عمومية إلى مخازن خاصة والكثير من هذه الأخيرة كان مخصص للتسويق،[1] كما وُظفت هذه المخازن بنوعيها للمواد الخاصة بالتموين المجاني (**Annone**)[2] التي كانت موجهة نحو الخارج، ولنا أمثلة كثيرة عن هذه المخازن العمومية، ففي البروقنصلية نذكر مخازن حضرموت، قرطاج، أوتيكا،كامارت (**Camart**)، حرقلة (**Caelia**)، جبل سكيرة بالقرب من تستور،[3] أما في مقاطعة نوميديا لنا أمثلة مخازن روسيكادا، وجنوب ميلاف (ميلة) وكذا كويكول (جميلة)،[4] أمّا موريطانيا القيصرية فقد وصلتنا إشارات عن مخازن (**Musluvium Horrea**) سيدي ريحان بأوقاس البحرية حاليا، المدينة التي أُشير إليها في لوحة **بوتينجير** تحت اسم **موزلابيو** (**Muslabio**) والتي وضعت بين موقعي شوبا (زيامة) وصلداي (بجاية)، بالإضافة إلى مخازن (**Caput Saltus Horrearum**) عين زادا حاليا، (**Horrea Aninicensia**) عين الروى حاليا وأخيرا توبوسكتو (تيقليعث) بضواحي القصر – بجاية،[5] حيث قدمت لنا أثار هذه المخازن المنتشرة في المدن، فكرة عن واقع هذه الزراعة وهي أدلة على بقاء نشاط زراعة الحبوب خلال فترة الأزمة.

يظهر أيضا هذا الاهتمام بالزراعة الحقلية في مشاهد الفسيفساء المتمثلة في أعمال الحرث والبذر والزرع بين أشجار الزيتون والكروم،[6] حيث ذهب الأستاذ **شنيتي** إلى تفسير ظاهرة عدم تصوير أعمال التنقية للحشائش الضارة في الكثير من الفسيفساء إلى كون أن التربة استغلت أحسن استغلال لتصبح ذات جودة عالية،[7] كما ترجمت هذه المشاهد الحرص الكبير في استغلال الأرض كاملا وقدر المستطاع حتى في المساحات الضيقة، حيث ورد في بعض الإشارات الأثرية ممارسة زراعة القمح والشعير على ضفاف الوادي الكبير في شمال نوميديا، كما أُستغلت المساحات بين الأشجار، الأمر الذي انجر عنه وفرة إنتاجية، حيث يُفهم من إحدى نقائش مدينة حضرموت التي تعود للأحد أعيان هذه المدينة ذُكر بإسم **فالافيوس ماكير** (**Flavius Macer**) الذي كلف أعوان لشراء الحبوب من القرى المجاورة لمستعمرة حضرموت،[8] نفس الشيء كان حاضرا مع عائلة كايليا*

---

(1) Camps (F.H.) , op.cit., p – 71 . Et بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص.337.

(2) Camps (F.H.) , op.cit., p – 70 .

(3) Mahdjoubi (A.), le Régime des notables dans la cité Antique, op.cit., 4/5 Et Camps (F.H.) , op.cit., p – 70.

(4) نوارة عمار، الخريطة الأثرية لمنطقة ميلة وضواحيها في العهد الروماني، رسالة ماجيستير في التاريخ والآثار، جامعة منتوري– قسنطينة، 2012، ص. 256.

(5) Camps (F.H.) , op.cit., p – 70. Et بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص. 337.

(6) Ferdi Sabah, Mosaïque Romaine – Africaines, Culture et nature, éd. du Tell, Blida, 2005, p. 138.

(7) شنيتي محمد البشير، "صور من حياة الريف في إفريقيا الرومانية من خلال مشاهد الفسيفساء"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص.ص. 226 – 227 .

(8) Christol Michel , Regard sur l'Afrique Romaine , éd. Errance , Paris – 2005, p – 106 . Et Christol Michel, le Blé Africain et Rome, Remarques sur quelques documents, publications de L'EFR, Rome – 1994, pp- 300-301.

(**Caelia**) المالكة لمخازن كبيرة بمدينة حرقلة، حيث مارست العائلة نشاط جمع محاصيل الحقول الواقعة خلف المدينة (الريف) من الأهالي ثم بيعها بالجملة،[1] نفس الظاهرة كانت حاضرة في بعض مدن موريطانيا القيصرية كصلداي وتوبوسوكتو وعين الروي ... التي شهدت وجود مخازن تحت مسمي (**Magnum Agrarium**) المخازن الكبرى للحبوب، التي كانت تستقبل حبوب في إطار الضريبة وأخرى تشتريها الادارة من خواص أو عن طريق متعاملين اقتصاديين، مثلما كان مع مدينة موسلوبيو (**Muslubio**) أوقاس حاليا التي كانت تستقبل منتجات من ضواحيها ومن سهول سطيف ومجانة،[2] الشيء الذي يُفهم على أنّه ترجمة للازدهار ونشاط واسع لزراعة الحبوب في المنطقة ولم يكن للسلطة يد فيه، وفي نفس السياق تصب شهادة القديس كيبريانوس، خلال حديثه في الرسالة (58) عن مخازن بقرطاج ممتلئة بالحبوب في انتظار شحنها إلى روما، علما أن عمليات التخزين هذه كانت قائمة في فصل الربيع[3] والمعنى هنا أنه ليس فترة الحصاد.

الكثير من الموانئ تشهد مرور الأساطيل المحملة بشحنات الحبوب الخاصة بالأنونة، المنطلقة من المقاطعات الإفريقية باتجاه المقاطعات الشرقية،[4] وكان ذلك بداية من عهد الإمبراطور **كومودوس** (180–192م) حين خصص أسطول بحري لنقل المواد الزراعية من المقاطعات الإفريقية، وذلك في إطار تحصيل ضريبة "الأنونة"، كما دعم العملية بسفن لخواص من التجار الأفارقة، و بقيت هذه الممارسة حتى القرن الرابع،[5] نفس الحال كان حاضرا مع الإمبراطور **قسطنطين الأكبر**، حيث يظهر ذلك من خلال إحدى المواد التي وردت في القانون الذي وضعه، حين ركز في شقه الإداري والاقتصادي على المقاطعات الإفريقية،[6] الأمر الذي يُفهم أنه ترجمة لرغبة التحكم التام في الاستغلال الاقتصادي لمقومات المقاطعات الإفريقية، فخصص مادة يعود تاريخها إلى 19 مارس 314م، يجبر فيها أصحاب السفن من الخواص في قرطاج بتسخير كل إمكانياتهم لضمان نقل القمح إلى روما بطريقة منتظمة،[7] نفس الواقع نجده في إحدى مواد قانون 350م خلال حكم الإمبراطور كونستانس الثاني (**Constance II**) حين حددت فترة الملاحة التجارية بين أفريل وأكتوبر،[8] الأمر الذي فُهم على أنه تخوف من الخسائر الناجمة عن العواصف والتيارات البحرية، كذلك ورد في قانون **ثيودوز** مادة

---

* اشتهرت هذه العائلة في مدينة حرقلة بالتجارة و عُرفت المدينة بمخازن عائلة كايليا (Horrea caelia)

(1) Mahdjoubi (A.), le régime des notables dans la cité Antique, op.cit.4/5.

(2) بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص. 333.

(3) Christol Michel, « Cyprien de Carthage et la crise de l'empire romain », dans la crise de l'empire romain ; de marc Aurèle à Constantin , éd. P.U.P.S., 2006, p – 475.

(4) Briand (C.P.), l'Afrique Romaine…, p – 233.

(5) Mahdjoubi (A.), le régime des notables dans la cité Antique, op.cit. ¾ Et Briand (C.P.), l'Afrique Romaine…, p – 231.

(6) Christol Michel, « Institutions , société et vie politique dans l'empire romaine au IV siècle » , actes de la table ronde auteur de l'œuvre d'André Chastagnol , Paris les 20 – 21 janvier 1989 , éd . EFR , Rome – 1992, p – 334 .

(7) Ibid., p – 337.

(8) Camps (F.H.), L'olivier…, op.cit., p – 77.

تُجبر صاحب السفينة الناقلة للبضائع على تعويض الخسائر الناجمة عن أي حادث غير محسوب،[1] فمن جهة دليل على وفرة المنتوج الإفريقي ومن جهة أخري الحاجة له من طرف السلطة الرومانية وبكميات كبيرة من أجل تغطية الندرة الناتجة عن ركود هذا النشاط الزراعي في المقاطعات الأخرى خارج إفريقيا، حيث تحدثت الباحثة (**CAMPS, H.F.**) عن توجه السلطة الرومانية إلى تعويض معاصر الزيتون بجنوب نوميديا (غرب النمامشة) بمطاحن القمح،[2] إلا أن الباحثة لم تحدد التاريخ لكننا نرجح فترة ما بعد القرن الثالث، وفي نفس السياق أشار الباحث شنيتي إلى بقايا مطاحن حبوب بسهل الحضنة.[3]

ب- واقع الزراعة الشجرية من خلال الصناعة الغذائية: انتشرت خلال القرنين الثالث و الرابع ثلاث صناعات غذائية أساسية ، إثنتتن زراعية والثالثة حيوانية، حيث عرفت رواجا كبيرا داخل المقاطعات واكثر في الخارج .

- **صناعة الزيوت:** ارتبطت هذه الصناعة بزراعة الزيتون ولقد لعبت دورا مهما في حياة الإمبراطورية، حيث أُستغل هذا المنتوج في عدة مجالات، فاستعمل في التغذية والتطبيب والإنارة كذلك ومجالات أخرى،[4] وهذا ما يُفسر الطلب الواسع عليه، لكن لماذا الزيتون والزيت الإفريقي؟

أشارت المصادر بنوعيها إلى قضية إدراج الإمبراطور أوريليانوس (270 .275م) مادة الزيت ضمن المواد المقدمة مجانا للطبقة العاطلة في روما،[5] وهو الأمر الذي يدفعنا للتساؤل عن مصدر هذه المادة وبكميات كبيرة وفي عز الأزمة، و يُشار إلى أن هذا التقليد بقي ساري العمل به خلال القرن الرابع الأمر الثابت في قانون ثيودوز الذي أقرَّ الحق في هذه المادة مجانا للطبقة العامة،[6] هذه المادة كانت وفيرة في المقاطعات الإفريقية، حيث يظهر ذلك من خلال عدة مؤشرات، يتقدمها واقع الاستعمال الكبير والواسع لهذه المادة يوميا، فالقديس أوغسطينوس تحدث عن واقع غنى المقاطعات الإفريقية بمادة الزيت من خلال تعجبه من الظلام الذي كانت تعيشه روما كل ليلة، حيث تغيب الإنارة، ليضيف بالقول أنه حتى الأثرياء مَسَّتهم الظاهرة،[7] في حين يتحدث عن واقع مخالف كان حاضرا في المقاطعات الإفريقية التي كانت تَشعْ بنور المصابيح، هذه الشهادة تجعلنا نستنتج مجموعة من ملاحظات، فبغض النظر عن فترة الشهادة البعيدة نوعا ما عن الفترة المدروسة إلا أن الأوضاع التي تحدث عنها القديس أوغسطينوس هي نتاج وانعكاس للتحولات التي بدأت خلال الفترة المدروسة،

---

(1) Ibid .

(2) Camps (F.H.), L'olivier…, op.cit..p – 29.

(3)شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني؛ بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، جزءان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص. 178.

(4) Le Bohec (Y.), Histoire De L'Afrique Romaine…, op.cit., p- 142.

(5) Camps (H.F.), op.cit. p – 72.

(6) Ibid.

(7) Camps (H.F.), op.cit, p - 64

فالملاحظات تكون كالتالي: فالوفرة؛ ثابت أن وفرة العرض يؤدي إلى استقرار السعر في حد معقول فيصبح المنتوج في متناول الجميع، كما يمكن أن نفهم من هذه الشهادة المستوى المعيشي الحسن في المجتمع الإفريقي،* كما يُضاف إلى هاذين المؤشرين الانتشار الواسع لبقايا الجرار الإفريقية في مختلف بقاع الحوض المتوسط.(1)

رغم أن قضية الزيت الإفريقي كانت محل اختلاف بين الكتاب القدامى** ثم الباحثين المحدثين في قضية النوعية، الأمر الذي دفع هؤلاء لتصنيفه إلى صنفين حسب النوعية، فجيدة للاستهلاك في التغذية والتداوي ومتوسط للاستعمال في الإنارة وبعض الاستعمالات اليومية الأخرى،(2) وفي هذا السياق نستحضر قضية ركام الفخار بهضبة تستاتكيو والتي كانت ولا تزال محل اختلاف وتضارب المختصين في مصدر هذا الركام من بقايا فخارية، فالباحث **براون (Brun)** قدّر حجم هذا الركام بحوالي ثلاثة وخمسين ألف جرة تكونت منذ عهد أوكتافيوس إلى غاية نهاية القرن الثالث،(3) والجديد في حديثه هو مصدر هذه الجرار، إذ يقول أن بعضها قدِمَ من اسبانيا، وهو الطرح الذي ذهبت إليه الباحثة " **فابير** " بتصريحها أن الركام لم يحوي على جرار إفريقية تعود إلى القرن الثالث للميلاد،(4) في حين قدم الباحث عقون محمد العربي نسبة خمس عشرة من المائة (15٪) من الركام افريقي الأصل،(5) الطروحات التي أعاد النظر فيها الباحث الأثري **بونيفاي (Bonifay)** حيث أكد على وجود جرار إفريقية تحت نمط إفريقيا وطرابلسية I و II وكانت خاصة بالزيت، كما وجدت إلى جانبها جرار إسبانية،(6) كما أكدت الباحثة في الآثار **أدلين بيشو (Adeline Pichot)** وجود عدد معتبر من جرار وأمفورات تحمل علامات تجارية إفريقية على غرار توبوسكتو، حضرموت، لبدة الكبرى،(7) وفي مقام ذو صلة ذهبت الباحثة **فابير (Faber)** للقول أن الزيت الإفريقي بدأ بمنافسة

---

* الفكرة التي أثارها لوفوا خلال دراسته لبعض منازل البسطاء في أرياف القيصرية ليخلص الى القول بعدم موضوعية بعض الأحكام التي وردت في بعض المصادر اللاتينية فيما يخص وصف نمط المعيشة للسكان المحليين. للمزيد راجع:

Leveau Philippe et Pierre sillières, Vallat Jean Pierre, Campagne de la Méditerrané Romaine, éd. Hachette, Paris – 1989, p- 164.

(1) Bonifay (M.), op.cit., p – 01.

** في هذا المقام ذكر بلينوس الأول نوع من الزيتون الطري الذي لا يوجد إلى في إفريقيا و منطقة (Emerita) (مستوطنة رومانية و هي ميريدا حاليا في الوسط الغربي لإسبانيا) مذاقة حلو يجف لوحده حتى يصبح حلو مثل العنب المجفف، في حين الكاتب الشاعر جوفينال (juvénal) يصف الزيت الإفريقي بأسوء الأوصاف.

(2) Brun Jean, le vin et l'huile dans la Méditerranée, Antique viticulture, Oléiculture et procédés de transformation, éd. Errance, Paris, 2003 ….., p – 161.

(3) Brun (J.), le vin…, op.cit., p- 167.

(4) Camps (F.H.), op.cit. p – 81.

(5) عقون (م.ا.)، الاقتصاد و المجتمع...، المرجع السابق، ص- 142.

(6) Bonifay (M.), op.cit., p – 471.

(7) Pichot Adeline , Les édifices de spectacle des Maurétanie Romaines , éd. Monique Mergail , Paris – 2012, p- 23.

الزيت الإسباني بدايةً من القرن الثالث، وبقي كذلك حتى نهاية الفترة القديمة،[1] نفس الفكرة طرحها الباحث يان لوبوهيك حين ذكر بأن الزيت الإفريقي لم يكن في البداية بجودة عالية لذلك كان موجه للصحة الجلدية والإنارة، لكنه تحسن لاحقا ليدخل المطبخ الروماني،[2] ولأن الباحثة فابير لم تُبيّن طبيعة هذه المنافسة التي كانت قائمة بين الزيت الاسباني والإفريقي، فان الباحث **بونيفاي** أثار خصوصية حجم وسعة الجرار والأمفورات الإفريقية التي تميزت بالسعة عن باقي الجرار والأمفورات التي كانت متداولة، إذ يذكر أمفورات وجرار إغريقية كانت ذات سعة تتراوح بين ستة (06) إلى ست وعشرين (26) لترا في حين الجرار الإفريقية تصل إلى 70 لتر،[3] والأكيد هو أن مقاطعة نوميديا كانت نشيطة في مجال زراعة الزيتون وصناعاته، الواقع الذي سبق وأشرنا إليه من خلال الانتشار الواسع لأثار المعاصر في أرجاء هذه المقاطعة حتى في بعض المناطق الجبلية والشبه صحراوية،[4] حيث يُفهم من آثارها أن إنتاجها كان كثير ومخصص في الغالب للتصدير.[5]

أمّا عن واقع هذه الصناعة في موريطانيا القيصرية ، فقد ارتبطت بقلة المصادر التي توثقها، إلا أن هذه القلة تتنافى مع الواقع الطبيعي لهذه المنطقة حيث المناخ والتضاريس الملائمة لفلاحة هذا المنتوج وخصوصا في شقها الشمالي الشرقي، فبعض المراجع تتحدث عن ميناء إيجيليجلي الذى تخصص في تصدير الزيت،[6] في حين أثبتت آثار موقع **توبوسكتو** (ضواحي مدينة القصر ببجاية) وجود خزانات للزيت الذي كان موجه إلى الخارج،* حيث عُثر في كل من مينائي أوستي بروما والإسكندرية بمصر على جرار زيت تحمل علامات ورشات توبوسكتو،[7] **(أنظر الملحق6)** بالإضافة إلى فسيفساء أوستي المشهورة التي تبرز تميز الجرار الموريطانية،[8]**(أنظر الملحق رقم5 و6)** وبالعودة إلى دراسة لوفوا حول ضيعات ضواحي القيصرية، فإننا نجد اشارة إلى مجمعات صناعية للإنتاج الزيت والتي تعود إلى القرن الثالث، وذلك من خلال تواجد مجموعة من معاصر في ضيعة واحدة،[9] كما عُثر على أثار لبقايا معاصر الزيت بالجهة الغربية لموريطانيا القيصرية، مثلما كان الحال مع بقايا

---

(1) Leveau (Ph.) et Autre, campagne de la Méditerrané…, op.cit., p- 194.
(2) Le Bohec (Y.), Histoire De L'Afrique Romaine…, op.cit., p- 142.
(3) Bonifay (M.), op.cit, p – 446.
(4) Nasraoui Abdelmalek, « Les Vestiges Romain dans L'Aurès », dans Identités et Cultures dans L'Afrique Antique, sous la direction de Claude Briand-Ponsart, éd. Publication des Universités de Rouen et du Havre – 2005, pp- 294-295. Et Camps (F.H.), L'olivier…op.cit. p – 29. Et
شنيتي (م.ا.)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني...، المرجع السابق، ص– 178.
(5) Leveau (Ph.) et Autre, Campagne de la Méditerrané…, op.cit., p- 195.
(6) بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص- 334.
* بعض الدراسات التاريخية تشير الى تجارة باكرة للزيت بين توبوسكتو و وليلى بالمغرب حيث كانت تُشحن من صلداي الى طنجيس و بعدها تسوق نحو الداخل.
(7) Bonifay (M.), op.cit., pp – 12-15. Et Camps (F.H.), L'olivier…, op.cit. p – 30.
(8) Leveau (Ph.) et Autre, campagne de la Méditerrané…, op.cit., p- 195.
(9) Leveau (Ph.), une ville et ses compagnes…, op.cit., pp- 85-86.

طاحونة في بوماريا (Pomaria) تلمسان حاليا وكذا بموقع بضواحي بلعباس،[1] أما في جنوب المقاطعة، فقد عُثر على بقايا معصرة بموقع بوحنيفية (Aquae Serenses) بالإضافة الى آثار مخازن لتجميع الزيت،[2] ومهما يكن من واقع نقص في المؤشرات الأثرية المرتبطة بهذه الصناعة، فإن مصادر من نوع آخر تحدثت عن اعتماد الإمبراطور أوريليلنوس (270- 275م) على مادة الزيت في الغذاء المجاني كما سبق و ذكرنا دليل على وفرة هذا المنتوج في المقاطعات الإفريقية.

- صناعة الخمور:

يُفهم من المصادر الأدبية أن النبيذ الإفريقي احتل مكانة مهمة في أسواق الحوض المتوسط قديما، الشيء الظاهر في الدراسات الحديثة التي حاولت تصنيف الخمور التي كانت متداولة في الحوض المتوسط حسب الجودة، والتي وضعت النبيذ الكريتي المعروف بالباسوم (Passum) في المرتبة الأولى، حيث تغنى به الشعراء والكتاب القدامى،[3] وهي الفكرة التي ارتكز عليها الكثير من المحدثين، في حين نجد حديث عن أن هذا النبيذ الإغريقي نافسه النبيذ الإفريقي،[4] إلا أن الباحث **بران** (Brun) يؤكّد على فكرة أن النبيذ الإسباني كان أكثر تداولا من الإفريقي، وفي ظل هذا التضارب استوجب طرح تساؤل حول طبيعة هذا الترتيب فهل كان قائم على الكم أم النوعية ؟

أمام واقع قلة أثار ورشات صناعة الخمور في المقاطعات الإفريقية،* تبقى البقايا الأثرية لأوعية هذا المنتوج تفرض نفسها، حيث وُجدت منتشرة بكثرة في بقاع الإمبراطورية وأغلبها يعود إلى فترة القرن الثالث والرابع حيث كانت هذه الأمفورات تحمل علامات إفريقية مقابل غياب المنتوج الإسباني أثريا، هذه الملاحظة التي حاول الباحث **بران** تداركها بإرجاع غياب الشواهد المادية التي تؤكد تفوق النبيذ الإسباني، بالقول أن النبيذ الإسباني كان يُعبأ ويُنقل في براميل خشبية، وعليه تعرضت للاندثار،[5] في حين تشير دراسة الباحثة **مارليار** (**Marlère**) التي أجرتها على مجموعة من بقايا براميل خشبية عُثر عليها بمنطقة بالراين، حيث أحصت سبعة وتسعون (97) برميل خاص بالنبيذ، لتخلص أن اثنان وستون (62) منها يعود إلى القرن الثالث وثمانية تعود للقرنين الرابع والخامس [6]رغم أهمية هذه المعلومات إلا أنها تبقي نسبية وغير كافية لهذا المقام، حيث لم تتطرق إلى مساهمة المنتوج الإفريقي في الحركة التجارية في هذه المنطقة الحدودية الكثيرة التركيز العسكري،

---

(1) Camps (F.H.), L'olivier…op.cit., p – 30.

(2) Camps (F.H.), L'olivier…op.cit., pp – 70-71.

(3) Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, livre XIV, 16, 17, édition d'Emile Littré, Paris- 1848- 1850

(4) Brun (J.), le vin…, op.cit., p – 72. Et عقون (م.ا.)، الاقتصاد و المجتمع...، المرجع السابق، ص. 104.

* بعض الدراسات أشارت الى فكرة أن معاصر الزيت كانت تُستعمل في صناعة الخمور. للمزيد راجع: عقون (م.ا.)، الاقتصاد والمجتمع ...، المرجع السابق، ص. 120.

(5) Brun (J.), le vin…, op.cit., p – 104.

(6) Marlière Elise, L'outre et le Tonneau dans l'occident Romain, éd. Monique Mergoil Montagnac 2002, p.177.

وفي نفس المقام صرح الباحث **لوبوهيك** بأن رغم تطور النبيذ الإفريقي الا أنه لم يكن يستهوي المتعاملين التجاريين، ويضيف بالقول بأن الأرستقراطية الإفريقية كانت تحبذ النبيذ الإغريقي،[1] الطرح الذي يمكن التحفظ عليه والعمل به بنسبية باعتباره حالات خاصة حيث وُجد زيت سوري في قرطاج، كما ذهب الباحث الأثري **بونيفاي** الى اقتراح فكرة أن الأفارقة لم يهتموا بتجارة الخمور بسبب الضريبة العالية التي فُرضت على هذا المنتوج من طرف السلطة المركزية،[2] لكن بالعودة إلى دراسة الباحثة **مارليار** واستنتاجاتها نعتقد أن المنتوجات التي كانت تصل هذه المناطق العسكرية بالراين في براميل خشبية وبكميات كبيرة كانت ذات جودة متوسطة، الواقع الذى يمكنه تفسير فرضية غياب النبيذ الإفريقي في هذه الأراضي البعيدة، وخصوصا أن بعض الدراسات الأثرية التي أُجريت في مواقع بروما المدينة أشارت إلى بقايا أمفورات لنبيذ موريطانيا القيصرية،[3] والجدير بالذكر في هذا المقام هو إشارة كلا من الباحثين (**Brun** و**Marlière**) إلى بعض المحطات التجارية التي كانت تعيد تعبأة الخمور من الأمفورات إلى براميل مثلما كان الحال مع محطة مدينة كافاليس (**Cavalis**) في جزيرة سردينيا،[4] ومدينة مالاقا (**Malaga**) الاسبانية،[5] نفس الفكرة أثارتها الباحثة **مارليار** حيث ذكرت حالات إعادة تعبأة الخمور في مدينة ليون الفرنسية، إذ يتم تنقيح وتعديل الخمور ذات الجودة المتوسطة التي كانت قادمة من إسبانيا وإيطاليا وحتى من بعض مناطق بلاد غالة، لتُعبأ من جديد لتوجه للاستهلاك وخصوصا إلى خطوط المواجهة (الليمس)،[6] و نفس الحالة كانت حاضرة مع منتوج السمك المملح،[7] وفي نفس المقام رجح الباحث **بونيفاي** فكرة وجود مراكز تدويل وإعادة شحن، **(أنظر الملحق رقم 09)** وذلك بناءً على دراسة عينات من حطام سُفن على طول الساحل الشرقي لفرنسا، حيث كانت محملة بسلع إفريقية، حين لاحظ صغر حجم هذه السفن التي لا تتعدى خمس عشرة مترا (15 مترا) في الطول وبالتالي لم تكن مؤهلة لشق مسافات طويلة في البحر المتوسط وعليه افترضً أن الشُحنات قدمت من مراكز غير مصدر السلعة،[8] هذه المحطات يُرجح أيضا أنها كانت حلقات وصل لمنتوجات إفريقية نحو اوروبا، نقدم هذا الكلام دون إغفال واقع أن منطقة بلاد غالة كانت ولا تزال منطقة ملائمة لفلاحة الكروم، حيث الغلة جيدة وذات جودة، ورغم هذا فإن إنتاجها كان حاضرًا للاستهلاك المحلي،[9] هذه الفكرة يمكن تدعيمها بمحتوى نص نقيشة وجدت بمنطقة أكيتانيا (جنوب غرب فرنسا)

(1) Le Bohec (Y.), Histoire De L'Afrique Romaine…, op.cit., p- 142.
(2) Bonifay (M.), op.cit., p – 479.
(3) بشاري (م.ا.)، موانئ شرق موريطانيا القيصرية، المرجع السابق، ص. 337.
(4) Brun (J.), le vin…, op.cit., p – 108.
(5) Yahiaoui (N.), Les Confins…, op.cit., p- 141.
(6) Marlière (E.), op.cit., p – 177.
(7) Ibid.
(8) Bonifay (M.), op.cit. p – 433.
(9) Etienne Robert, Ausone, Propriété terrien et le problème du *latifundium* au IVe siècle ap. J.C Actes de la table ronde autour de l'œuvre d'André Chastagnol (Paris, 20-21 janvier 1989), Publications E.F.R. 1992, pp – 306 – 307.

والتي تعود إلى القرن الرابع، والنص عبارة عن وصف لضيعة مساحتها حوالي 264 هكتار، خمسون منها فقط استغل في فلاحة الكروم في حين المساحة المتبقية استغلت في فلاحة أشجار متفرقة،[1] هذا هذا الواقع يمكنه دعم فكرة أن منتوجات كروم بلاد غالة لم تكن موجهة للتجارة الخارجية أو أنه غير معروف، في المقابل يتحدث الباحث بران **(Brun)** عن علامات مسجلة كانت حاضرة في الحوض المتوسط قديما، إذ يذكر أن المنتوجات ذات الجودة العالية سواء نبيذ أو زيت كانت تعبأ في أمفورات وجرار عليها علامات خاصة،[2]و هي الظاهرة التي كانت حاضرة في منتجات المقاطعات الإفريقية، **(أنظر الملحقين رقم 07 و08)** وما يُدعم هذه الفكرة هو استنتاج الباحثة **مارلبير إليز** بالقول أن النبيذ الغالي **(**بلاد غالة**)** كان يوجه إلى المناطق العسكرية،[3] الشيء الذي يدفعنا لرد ذلك إلى نوعيته المتواضعة، أما القول بتحسين بعض هذه المواد التي كانت موجهة إلى خطوط الليمس نعتقد أنها كانت خاصة بفئة معينة من الجيش كالضباط.

الخاتمة:

تقدم لنا فسيفساء ساحة الاتحادات المهنية بالمدينة المرفأ أوستي دعما لفكرتين أساسيتين؛ فالأولى مرتبطة بواقع التطور الفلاحي الذي عرفته المقاطعات الإفريقية في أوج أزمة الامبراطورية، هذا التطور الفلاحي أدى إلى نشاط تجاري خارجي مهم ظهر جليا في نشاط الموانئ الإفريقية، أما الفكرة الثانية مرتبطة بظاهرة تحرر النشاط التجاري بداية القرن الثالث من الاحتكار الرسمي للإدارة المركزية بروما وبعض الأقلية الأجنبية عن المقاطعات الإفريقية، هذه الأقلية الأجنبية المتمثلة في السماسرة الإيطاليين بالدرجة الأولى، اللذين كانوا متمركزين في المدن–الموانئ وبعض المدن الداخلية الكبرى، بالإضافة إلى بعض المستثمرين اللذين لم يكونوا مقيمين في إفريقيا، لصالح الأرستقراطية المحلية حديثة البروز وذلك لعدة اعتبارات، تتقدمها ظاهرة التوسع الحضري الذي شهدته المقاطعات الإفريقية وما ترتب عنه من تحولات اجتماعية، هذا الواقع الذي كان نتاج الإصلاحات الأنطونينية والسيويرية* والتي أعطت دفعا للمقاطعات الإفريقية، فبغض النظر عن خلفياتها السياسية ، التي منحتهم **(**الأباطرة**)** الهيمنة من خلال ثرواتها.

(1) Etienne (R.), Ausone, Propriété terrien…, op.cit., p – 305.
(2) Brun , le vin , p – 93 .
(3) Marlière (E.), op.cit., pp – 181 – 182 .

* الدراسة التي قامت بها الأستاذة رمضان تسعديت، "الإصلاحات السيفيرية في بلاد المغرب القديم (193–235م).

الملاحق:

الملحق رقم 01 + 02 :

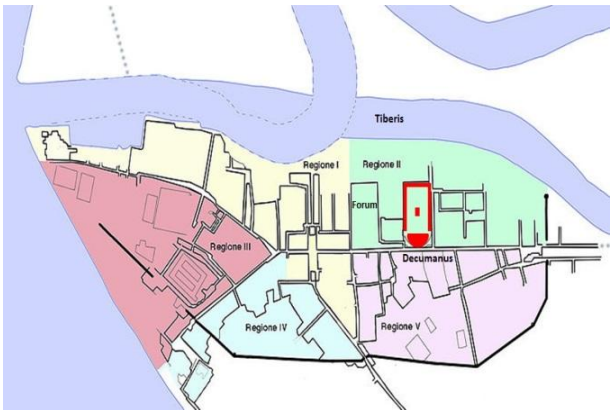

صورة بالقمر الصناعي يبين موقع ساحة الإتحادات بمدينة أوستي

موقع مبنى ساحة الاتحادات الحرفية والمهنية بالمدينة الميناء أوستي

المصدر: www.ostia-ostie.net

الملحق رقم 03 + 04:

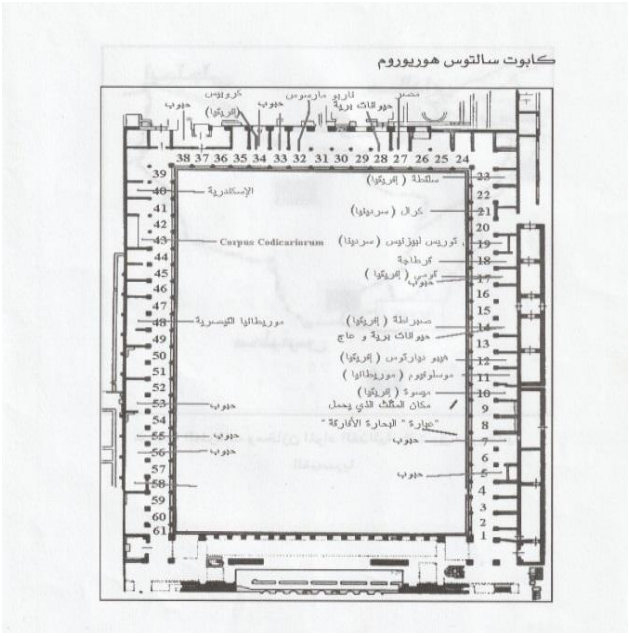

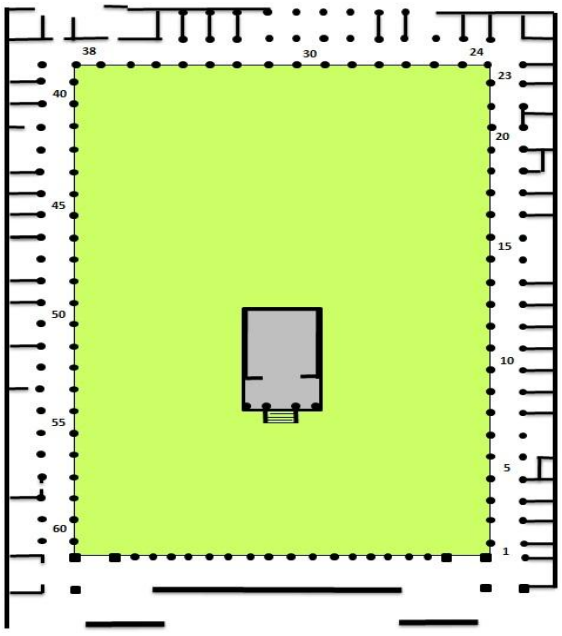

مخطط مبنى ساحة الاتحادات الحرفية و المهنية بالمدينة الميناء أوستي

المصدر: (على اليمين) بشاري محمد الحبيب، موانئ شرق موريطانيا القيصرية...، (2009)، ص – 338.

الملحق رقم 05 :

فسيفساء ارضية المكتب 48 بساحة الاتحادات الحرفية و المهنية تظهر تخصص في تجارة الصناعات السمكية من موريطانيا القيصرية

المصدر: www.ostia-ostie.net

الملحق رقم 06 :

صور فسيفساء من ساحة الإتحادات بأوستي / العلوية تُظهر وكالة تجارية للنقل البحري من قرطاج أما الصورة السفلية لوكالة تجارية من مدينة موليزوبيو (سيدي ريحان – أوقاس).

المصدر: www.ostia-ostie.net

الملحق رقم 07 + 08:

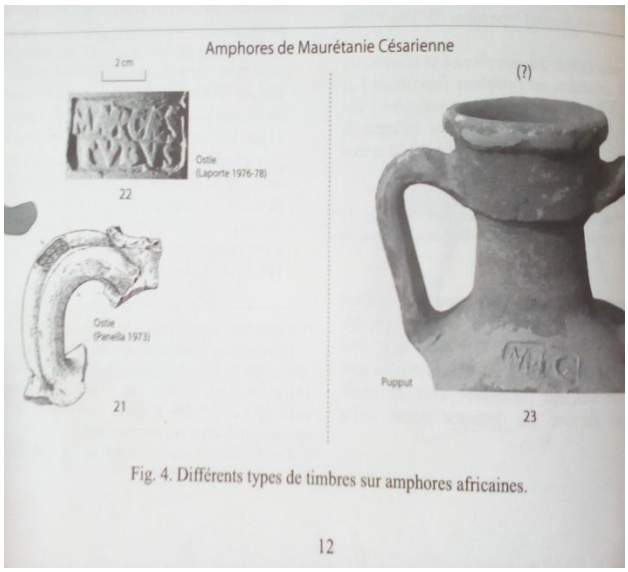

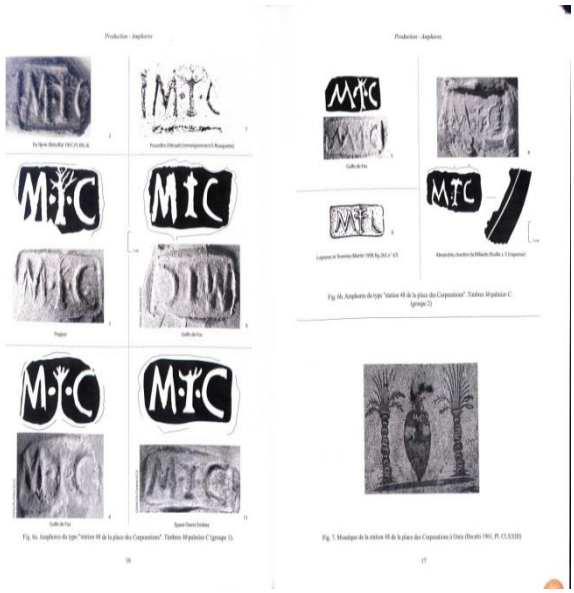

نماذج لطوابع (خواتم) جرار وأمفورات خاصة بموريطانيا القيصرية عُثر عليها بمواقع مختلفة في الضفاف الشمالية والشرقية للمتوسط

المصدر: Bonifay Michel , Etude sur la céramique Romaine Tardive d'Afrique, (2010), p- p- 16-17.

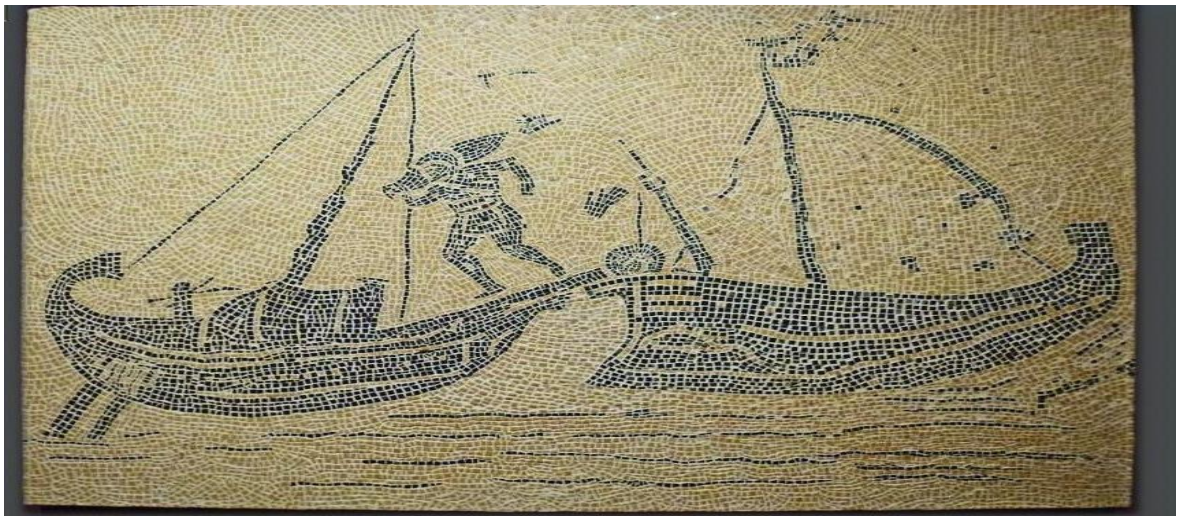

الملحق رقم 09: فسيفساء موجودة في أرضية ساحة الإتحادات المهنية بأوستي و المشهد يظهر عملية إعادة شحن أمفورات من سفينة بحرية إلى قارب صغير قد يكون نهري.

المصدر: www.ostia-ostie.net

البيبليوغرافيا:

المصادر:

Pline L'Ancien, Histoire Naturelle, livre XIV, 16, 17, édition d'Emile Littré, Paris- 1848- 1850.

المراجع:

- بشاري محمد الحبيب، "موانئ شرق موريطانيا القيصرية"، أعمال الملتقي الدولي تحت عنوان" الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما و حربا" يومي 07-08 ديسمبر 2009 بجامعة الجزائر، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني.

- شنيتي محمد البشير ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ؛ بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) و مقاومة المور ، جزءان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر – 1999

- شنيتي محمد البشير، "صور من حياة الريف في إفريقيا الرومانية من خلال مشاهد الفسيفساء" ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 10 ، 1997 ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر.

- عقون محمد العربي، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- 2003.

- عمران نورة، رجال المال و الأعمال الأجانب في المقاطعات الإفريقية 146 ق.م – 285 م، مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ جامعة بوزريعة، الجزائر 2 – 2010.

- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، تر. صالح عباد، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر- 1993.

- اللافى سالم ناصر، إصلاحات الإمبراطور ديوكليتيانوس (دقليديانوس) وأثرها السلبية و الايجابية على الإمبراطورية الرومانية 284-305 م، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم، جامعة المرقب- ترهونة، ليبيا- 2008

- نوارة عمار، الخريطة الأثرية لمنطقة ميلة و ضواحيها في العهد الروماني، رسالة ماجيستير في التاريخ و الاثار، جامعة منتوري – قسنطينة، 2012.

- Amraoui Touatia , « La production urbaine de salaisons en Algérie à l'époque romaine : l'exemple de Tipasa –Maurétanie Césarienne », dans le Fishe Ships , production et commerce des salsamenta durant l'antiquité, éd errance , 2014.
- Bonifay Michel , Etude sur la céramique Romaine Tardive d'Afrique , éd. Bar international séries England , 2004.
- Briand Ponsart Claude, L'Afrique Romaine de l'Atlantique a la Tripolitaine 146 – 533, éd. Armand Colin, Paris , 2006.
- Brun Jean, le vin et l'huile dans la Méditerranée, Antique viticulture, Oléiculture et procédés de transformation, éd. Errance, Paris, 2003.
- Camps-Fabrer Henriette, L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, imprimerie officielle, Alger-1953. -- -- -- Yahiaoui Nora, Les confins occidentaux de la Mauritanie césarienne sujet de doctorat sous la direction de François queyrel et de Jehan desanges , février – EPHE , 2003.
- Carrier Jean Michel et Rousselle Adline, L'empire en Mutation de sévères à Constantin 192 – 337, éd . seuil – 1999.
- Christol Michel , Regard sur l'Afrique Romaine , éd. Errance , Paris – 2005.
- Christol Michel, « Cyprien de Carthage et la crise de l'empire romain », dans la crise de l'empire romain ; de marc Aurèle à Constantin , éd. P.U.P.S., 2006.
- Christol Michel, « Institutions , société et vie politique dans l'empire romaine au IV siècle » , actes de la table ronde auteur de l'œuvre d'André Chastagnol , Paris les 20 – 21 janvier 1989 , éd . EFR , Rome – 1992.
- Christol Michel, le Blé Africain et Rome, Remarques sur quelques documents, publications de L'EFR, Rome – 1994.
- Drine Ali et Jerray Elyssa, « Exploitation et commercialisation des sauces maritimes de la petite syrte : témoignage Archéologiques et spécificités régionales », in Fish & ships. Ed. Errance paris- 2014
- Etienne Robert, Ausone, Propriété terrien et le problème du *latifundium* au IVe siècle ap. J.C
- Ferdi Sabah, Mosaïque Romaine – Africaines, Culture et nature, éd . du Tell, Blida – 2005.
- Fevrier (Paul Albert), Image et société (III – IV siècle) dans crise et redressement de l'empire, IHR, Acte du colloque de Strasbourg, décembre – 1981, édition Edmond Frézouls – 1983.
- Hugoniot Christophe, Rome en Afrique ; de la chute de Carthage aux débuts de la conquête arabe, édition Flamarion, paris – 2000.
- Kotula Tadeusz, « Snobisme municipal ou prospérité relative ? Recherche sur le statut des villes nord- Africaines sous le bas-empire Romain », An.Af., T.8, 1974.
- Lassère (J.M.), Onomastica africana XVII/XVIII : gentilices romains d'origine Africaine.

- Lassère Jean-Marie, Vbique Populus, peuplement et Mouvements de population dans l'Afrique Romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des sévères (146 Av – 235 Ap), éd. CNRS – 2011.
- Le Bohec Yann, Histoire De L'Afrique Romaine 146 avant J-C – 439 après J-C, 2eme Edition, édition A et J. Picard, Paris-2013.
- Lepelley Claude, Rome et l'intégration de l'empire 44 Av. jc – 260 Ap.jc, tome II, éd. Puf., 1998.
- Leveau (P.), une ville et ses compagnes, l'exemple de caesarea de Mauritanie, actes du colloque `` villes et compagnes dans l'empire romain `` organisé à Aix – en – Provence les 16 – 17 mai 1980 – éd. YE.R.H – 1982.
- Leveau Philippe et Pierre sillières, Vallat Jean Pierre, Campagne de la Méditerrané Romaine, éd. Hachette, Paris – 1989.
- Mahdjoubi Ammar, « le régime des notables dans la cité Antique », www.leaders.com.Tn/ Article 26936, Mis en ligne le 20/04/2019.
- Marlière Elise, L'outre et le Tonneau dans l'occident Romain, éd – Monique Mergoil Montagnac 2002.
- Morvillez Eric, « la mise en scène des choix culturel et statut social des élites dans leurs domus et vilae en occident (III, IV siècle) », dans « la crise de l'empire romain ; de marc Aurèle à Constantin », éd. P.U.P.S., paris-2006.
- Nasraoui Abdelmalek, « Les Vistiges Romain dans L'Aurès », dans Identités et Cultures dans L'Afrique Antique, sous la direction de Claude Briand-Ponsart, éd. Publication des Universités de Rouen et du Havre – 2005.
- Pichot Adeline , Les édifices de spectacle des Maurétanie Romaines , éd. Monique Mergail , Paris – 2012.
- Cébeillac-Gervasoni, Mireille, Epigraphie Latine, Armand Colin Paris – 1986.
- Slim Hédi et Mahdjoubi Amar, Khaled Belkhoudja , Histoire générale de la Tunisie, T.1 , l'Antiquité , sud – édition Tunis , Paris – 2003.
Actes de la table ronde autour de l'œuvre d'André Chastagnol (Paris, 20-21 janvier 1989), Publications E.F.R. 1992.